الموت والوفاة
في كتاب الله تعالى

المهندس عدنان الرفاعي

.. كتاب الله تعالى (القرآن الكريم) تبيانٌ لكلِّ شيء كما يؤكِّد منزّله جلّ وعلا ..

﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾

[النحل : ٨٩]

وكتاب الله تعالى هو معيار الأدلّة والبراهين التي تُقدَّم في أيِّ بحثٍ يتناول أيَّ مسألة دينيّة فلسفيّة ، سواء في جانبها الفكري ، أم في جانبها الفقهي ..

وفي هذا البحث سنتناول بإذن الله تعالى مسألتي الموت والوفاة ، لنلقي الضوء عليهما وعلى الحدود الفاصلة بينهما ، بأدلة من كتاب الله تعالى ، وبدراسة تأخذ بعين الاعتبار جميع مشتقّات الجذرين اللغويين (م ، و ، ت) ، (و ، ف ، ي) في كتاب الله تعالى ..

.. مشتقّات الجذر (و ، ف ، ي) تدور دلالاتها داخل إطار التمام ، فوفى الشيء تمَّ .. وكلُّ شيء بلَغ تمامَ الكمال فقد وَفَى وتمَّ .. وأوفى الشيء أتَمَّه و لم ينقص منه شيئاً .. ووفّى تعني أتمَّ على أكمل وجه .. وتَوَفَّى الشيء واسْتوْفَاه إذا أَخذه واستردّه كله .. هذا هو الإطار العام من المعنى والدلالات لمشتقّات هذا الجذر اللغوي في كتاب الله تعالى ..

وهذا الإطار من المعنى والدلالات للجذر اللغوي (و ، ف ، ي) يقابله في كتاب الله تعالى – بالنسبة للإنسان ككائن يتميّز بكونه نفساً وجسداً – إطارٌ يحوي الدلالات

الخاصّة بالإنسان للجذر اللغوي (ب ، ع ، ث) .. فبعث الشيء أرسله .. وانبعث اندفع نتيجة إثارته من محلّه وإزالة ما كان يَحْبسه عن التَّصَرُّف ..

فما بين أخذ الشيء واسترداده من جهة على أكمل وجه وأتمّه حيث دلالات الجذر اللغوي (و ، ف ، ي) ، وبين إرسال الشيء واندفاعه وإزالة ما كان يحبسه عن التصرّف من جهةٍ أُخرى حيث دلالات الجذر اللغوي (ب ، ع ، ث) ، نرى تقابلاً كاملاً في المعنى والدلالات ..

.. هذا التقابل في إطاري المعنى والدلالات ينعكس تقابلاً في مجموع ورود مشتقّات هذين الجذرين المتعلّقة بالإنسان ، في كتاب الله تعالى .. فقد رأينا في النظريّة الأولى (المعجزة) أنَّ مجموع ورود الكلمة في كتاب الله تعالى ، وكذلك مجموع ورود المشتقّات المتفرّعة عن جذر لغوي في كتاب الله تعالى ، هو لحكمة إلهيّة ، ويختزل حقيقة المسألة المحمولة بمشتقّاته .. ورأينا أنَّ التقابل في الدلالات بين الكلمات ، وبين المشتقّات المتفرّعة عن الجذور اللغويّة ، ينعكس تقابلاً في عدد مرّات الورود في كتاب الله تعالى ..

.. مشتقات الجذر (و ، ف ، ي) في كتاب الله تعالى ترد (٦٦) مرّة :

﴿ ..... وَأَوْفُواْ بِعَهْدِيٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ ﴾ [البقرة : ٤٠]

﴿ ..... وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ ..... ﴾ [البقرة : ١٧٧]

﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ ..... ﴾ [البقرة : ٢٣٤]

﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً ..... ﴾ [البقرة : ٢٤٠]

﴿ ..... وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ ..... ﴾ [البقرة : ٢٧٢]

﴿ ..... ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٨١]

﴿ ..... وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ..... ﴾ [آل عمران : ٢٥]

﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ..... ﴾ [آل عمران : ٥٥]

﴿ ..... وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ..... ﴾ [آل عمران : ٥٧]

﴿ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران : ٧٦]

﴿ ..... ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٦١]

﴿ ..... وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ..... ﴾ [آل عمران : ١٨٥]

﴿ ..... وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴾ [آل عمران : ١٩٣]

﴿ ..... فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ ..... ﴾ [النساء : ١٥]

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ ..... ﴾ [النساء : ٩٧]

﴿ ..... وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ..... ﴾ [النساء : ١٧٣]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ ..... ﴾ [المائدة : ١]

﴿ ..... فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ..... ﴾ [المائدة : ١١٧]

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ ..... ﴾ [الأنعام : ٦٠]

﴿ ..... حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا ..... ﴾ [الأنعام : ٦١]

﴿ ..... وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ ..... وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْ ..... ﴾ [الأنعام : ١٥٢]

﴿ ..... حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓاْ ..... ﴾ [الأعراف: ٣٧]

﴿ ..... جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ ..... ﴾ [الأعراف : ٨٥]

﴿ ..... رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ [الأعراف : ١٢٦]

﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ..... ﴾ [الأنفال : ٥٠]

﴿ ..... وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ ..... ﴾ [الأنفال : ٦٠]

﴿ ..... وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ..... ﴾ [التوبة : ١١١]

﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ ..... ﴾ [يونس : ٤٦]

﴿ ..... وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ..... ﴾ [يونس : ١٠٤]

﴿ ..... نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴾ [هود : ١٥]

﴿ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ..... ﴾ [هود : ٨٥]

﴿ ..... وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴾ [هود : ١٠٩]

﴿ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [هود : ١١١]

﴿ ..... أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴾ [يوسف : ٥٩]

﴿ ..... فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ..... ﴾ [يوسف : ٨٨]

﴿ ..... تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [يوسف : ١٠١]

﴿ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴾ [الرعد : ٢٠]

﴿ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ ..... ﴾ [الرعد : ٤٠]

﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ..... فَأَلْقَوُا۟ ..... ﴾ [النحل : ٢٨]

﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ..... يَقُولُونَ ..... ﴾ [النحل : ٣٢]

﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ..... وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ ..... ﴾ [النحل : ٧٠]

﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ ..... ﴾ [النحل : ٩١]

﴿ ..... وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [النحل : ١١١]

﴿ ..... وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ ۖ ..... وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ ..... ﴾ [الإسراء : ٣٤ – ٣٥]

﴿ ..... وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ ..... ﴾ [الحج : ٥]

﴿ ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴾ [الحج : ٢٩]

﴿ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ ..... ﴾ [النور : ٢٥]

﴿ ..... وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ [النور : ٣٩]

﴿ أَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴾ [الشعراء : ١٨١]

﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ..... ﴾ [السجدة : ١١]

﴿ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [فاطر : ٣٠]

﴿ ..... إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر : ١٠]

﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ ..... ﴾ [الزمر : ٤٢]

﴿ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ [الزمر : ٧٠]

﴿ ..... وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓاْ أَجَلًا ..... ﴾ [غافر : ٦٧]

﴿ ..... فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ ..... ﴾ [غافر : ٧٧]

﴿ ..... وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [الأحقاف : ١٩]

﴿ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴾ [محمد : ٢٧]

﴿ ..... وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح : ١٠]

﴿ ..... وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ..... ﴾ [النجم : ٣٧]

﴿ ..... ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴾ [النجم : ٤٠]

﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴾ [الإنسان : ٧]

﴿ ..... ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ..... ﴾ [المطففين : ٢]

ومشتقّات الجذر (ب ، ع ، ث) في كتاب الله تعالى ترد (٦٧) مرّة ... لكن في مرَّة واحدة منها تتعلّق بالغراب وليس بالإنسان ..

﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴾ [المائدة : ٣١]

وبالتالي تكون المشتقّات المتفرّعة من الجذر اللغوي (ب ، ع ، ث) والتي يتعلّق الإنسان بها قد وردت (٦٦) مرّة ، وهذا العدد هو ذاته عدد ورود المشتقّات المتفرّعة من الجذر اللغوي (و ، ف ، ي) كما رأينا ..

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة : ٥٦]

﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ ..... ﴾ [البقرة : ١٢٩]

﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ..... ﴾ [البقرة : ٢١٣]

﴿ ..... إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا ..... ﴾ [البقرة : ٢٤٦]

﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ ..... ﴾ [البقرة : ٢٤٧]

﴿ ..... فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ ..... ﴾ [البقرة : ٢٥٩]

﴿ ..... إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ ..... ﴾ [آل عمران : ١٦٤]

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ ..... ﴾ [النساء : ٣٥]

﴿ ۞ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ..... ﴾ [المائدة : ١٢]

﴿ وَقَالُوٓاْ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ [الأنعام : ٢٩]

﴿ ۞ ..... وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ [الأنعام : ٣٦]

﴿ ..... ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ..... ﴾ [الأنعام : ٦٠]

﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن ..... ﴾ [الأنعام : ٦٥]

﴿ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [الأعراف : ١٤]

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ..... ﴾ [الأعراف : ١٦٧]

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ ..... ﴾ [الأعراف : ١٠٣]

﴿ ۞ ..... وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ ..... ﴾ [التوبة : ٤٦]

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلاً إِلَىٰ قَوْمِهِمْ ..... ﴾ [يونس : ٧٤]

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ ..... ﴾ [يونس : ٧٥]

﴿ ..... وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ ..... ﴾ [هود : ٧]

﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [الحجر : ٣٦]

﴿ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ [النحل : ٢١]

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ..... ﴾ [النحل : ٣٦]

﴿ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ..... ﴾ [النحل : ٣٨]

﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ ..... ﴾ [النحل : ٨٤]

﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ..... ﴾ [النحل : ٨٩]

﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ ..... ﴾ [الإسراء : ٥]

﴿ ..... وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ [الإسراء : ١٥]

﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴾ [الإسراء : ٤٩]

﴿ ..... عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [الإسراء : ٧٩]

﴿ ..... إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولاً ﴾ [الإسراء : ٩٤]

﴿ ..... أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴾ [الإسراء : ٩٨]

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَـٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدًا ﴾ [الكهف : ١٢]

﴿ ... بَعَثْنَـٰهُمْ ..... أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم ..... ﴾ [الكهف : ١٩]

﴿ وَسَلَـٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾ [مريم : ١٥]

﴿ وَٱلسَّلَـٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ [مريم : ٣٣]

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا ..... ﴾ [الحج : ٥]

﴿ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴾ [الحج : ٧]

﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون : ١٦]

﴿ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ [المؤمنون : ٣٧]

﴿ قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾ [المؤمنون : ٨٢]

﴿ ..... وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون : ١٠٠]

﴿ ..... إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولاً ﴾ [الفرقان : ٤١]

﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴾ [الفرقان : ٥١]

﴿ قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴾ [الشعراء : ٣٦]

﴿ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴾ [الشعراء : ٨٧]

﴿ ..... وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ [النمل : ٦٥]

﴿ ..... حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولاً ..... ﴾ [القصص : ٥٩]

﴿ ..... لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ ..... ﴾ [الروم : ٥٦]

﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ..... ﴾ [لقمان : ٢٨]

﴿ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ..... ﴾ [يس : ٥٢]

﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾ [الصافات : ١٦]

﴿ ..... لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [الصافات : ١٤٤]

﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [ص : ٧٩]

﴿ ..... إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولاً ..... ﴾ [غافر : ٣٤]

﴿ ..... أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾ [الواقعة : ٤٧]

﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ ..... ﴾ [المجادلة : ٦]

﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ..... ﴾ [المجادلة : ١٨]

﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ ..... ﴾ [الجمعة : ٢]

﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ..... ﴾ [التغابن : ٧]

﴿ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ﴾ [الجن : ٧]

﴿ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴾ [المطففين : ٤]

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴾ [الشمس : ١١ – ١٢]

.. إذاً .. هذا التناظر في عدد مرّات الورود ، هو انعكاسٌ للتناظر في إطاري الدلالات ما بين هذين الجذرين .. فما بين استيفاء الشيء وأخذه واسترداده بشكلٍ تامٍّ وكامل حيث إطار دلالات الجذر (و ، ف ، ي) من جهة ، والتي للإنسان تعلّق بها في جميع مرّات ورودها في كتاب الله تعالى ، وما بين إرسال الشيء (المتعلّق بالإنسان) واندفاعه حيث إطار دلالات الجذر (ب ، ع ، ث) من جهةٍ أُخرى تقابلٌ تامٌّ ..

.. ولو عدنا إلى مشتقّات الجذر اللغوي (و ، ف ، ي) ونظرنا في المشتقّات التي تعني الوفاة التي تعني استيفاء النفس واسترجاعها واستردادها من الجسد ، وهي ذاتها المشتقّات التي تشترك مع الموت بخروج النفس من الجسد ، لرأيناها : (٢٥) مشتقّاً من هذا الجذر اللغوي ..

﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ ..... ﴾ [البقرة : ٢٣٤]

﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً ..... ﴾ [البقرة : ٢٤٠]

﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ..... ﴾ [آل عمران : ٥٥]

﴿ ..... وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴾ [آل عمران : ١٩٣]

﴿ ..... فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ ..... ﴾ [النساء : ١٥]

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ ..... ﴾ [النساء : ٩٧]

﴿ ..... فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ..... ﴾ [المائدة : ١١٧]

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا ..... ﴾ [الأنعام : ٦٠]

﴿ ..... حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا ..... ﴾ [الأنعام : ٦١]

﴿ ..... حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓا۟ ..... ﴾ [الأعراف: ٣٧]

﴿ ..... رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ [الأعراف : ١٢٦]

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ..... ﴾ [الأنفال : ٥٠]

﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ ..... ﴾ [يونس : ٤٦]

﴿ ..... وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ..... ﴾ [يونس : ١٠٤]

﴿ ..... تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [يوسف : ١٠١]

﴿ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ ..... ﴾ [الرعد : ٤٠]

﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا۟ ..... ﴾ [النحل : ٢٨]

﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ ..... ﴾ [النحل : ٣٢]

﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ ..... ﴾ [النحل : ٧٠]

﴿ ..... وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ ..... ﴾ [الحج : ٥]

﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ..... ﴾ [السجدة : ١١]

﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ..... ﴾ [الزمر : ٤٢]

﴿ ..... وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا ..... ﴾ [غافر : ٦٧]

﴿ ..... فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ ..... ﴾ [غافر : ٧٧]

﴿ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴾ [محمد : ٢٧]

.. إذاً .. الكلمات المتفرّعة من المشتق اللغوي (و ، ف ، ي) في كتاب الله تعالى ، والتي تتعلّق بفرع دلالاته تعني استيفاء النفس واستردادها من الجسد ، حيث تشترك كلمات هذا الفرع مع الموت بذلك .. هذه الكلمات ترد في كتاب الله تعالى (٢٥) مرّة ..

.. وهذه المشتقّات التي تعني استرداد النفس واستيفاؤها من الجسد ، والتي تتقاطع مع الموت بخروج النفس من الجسد ، تنقسم إلى قسمين :

١ – قسم يعني خروج النفس من الجسد كبداية لخروج الحياة من الجسد ، بمعنى كبداية للموت ..

﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ ..... ﴾ [البقرة : ٢٣٤]

﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً ..... ﴾ [البقرة : ٢٤٠]

﴿ ..... وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴾ [آل عمران : ١٩٣]

﴿ ..... فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ ..... ﴾ [النساء : ١٥]

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ ..... ﴾ [النساء : ٩٧]

﴿ ..... حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا ..... ﴾ [الأنعام : ٦١]

﴿ ..... حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓا۟ ..... ﴾ [الأعراف: ٣٧]

﴿ ..... رَبَّنَآ أَفرِغ عَلَينَا صَبرًا وَتَوَفَّنَا مُسلِمِينَ ﴾ [الأعراف : ١٢٦]

﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ .... ﴾ [الأنفال : ٥٠]

﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ ..... ﴾ [يونس : ٤٦]

﴿ ..... تَوَفَّنِي مُسۡلِمًا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [يوسف : ١٠١]

﴿ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ ..... ﴾ [الرعد : ٤٠]

﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ فَأَلۡقَوُاْ ..... ﴾ [النحل : ٢٨]

﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ ..... ﴾ [النحل : ٣٢]

﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمۡ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ ..... ﴾ [النحل : ٧٠]

﴿ ..... وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ ..... ﴾ [الحج : ٥]

﴿ قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ..... ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ ﴾ [السجدة : ١١]

﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ ..... ﴾ [الزمر : ٤٢]

﴿ ..... وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبۡلُۖ وَلِتَبۡلُغُواْ أَجَلٗا ..... ﴾ [غافر : ٦٧]

﴿ ..... فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ ..... ﴾ [غافر : ٧٧]

﴿ فَكَيۡفَ إِذَا تَوَفَّتۡهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ ﴾ [محمد : ٢٧]

وهذا القسم الذي يرد (٢١) مرّة يشترك مع الموت في مساحة واسعة من الدلالات ، فهو يعني خروج النفس من الجسد ، خروجاً نهائيّاً .. ولكنَّ هذه المشتقّات جاءت من الجذر (و ، ف ، ي) لتلقي الضوء على مسألة الموت من زاوية استيفاء النفس واستردادها من عالمها عالم الدنيا (في الجسد) إلى العالم الآخر ..

وتتجلّى عظمة الإعجاز القرآني أنَّ مجموع هذه المشتقّات من الجذر (و ، ف ، ي) والتي تعني فيما تعني الموت من زاوية استيفاء النفس واستردادها من الجسد ، مع كلمة ﴿ ٱلْمَوْتُ ﴾ المعرَّفة بأل التعريف ، مع كلمة الموت المضافة [﴿ مَوْتِكُمْ ﴾ ، ﴿ مَوْتِهِۦٓ ﴾ ، ﴿ مَوْتِهَا ﴾ ، ﴿ ٱلْمَوْتَةَ ﴾ ، ﴿ مَوْتَتَنَا ﴾] ... أنَّ هذا المجموع هو الطرف الأوّل في معادلة طرفها الثاني هو مجموع ورود كلمة ﴿ ٱلْحَيَوٰةُ ﴾ المعرّفة بأل التعريف ، مع كلمة ﴿ ٱلْحَيَوَانُ ﴾ التي ترد مرّة واحدة ، مع مجموع ورود كلمة حياة المعرّفة تعريف إضافة [﴿ حَيَاتِكُمْ ﴾ ، ﴿ حَيَاتُنَا ﴾ ، ﴿ لِحَيَاتِي ﴾] ..

.. المشتقّات من الجذر (و ، ف ، ي) والتي تعني فيما تعني الموت من زاوية استيفاء النفس واستردادها من الجسد ترد (٢١) مرّة كما رأينا ..

كلمة ﴿ ٱلْمَوْتُ ﴾ المعرّفة بأل التعريف ترد (٣٥) مرّة ..

كلمة موت المعرّفة تعريف إضافة : [﴿ مَوْتِكُمْ ﴾ ، ﴿ مَوْتِهِۦٓ ﴾ ، ﴿ مَوْتِهَا ﴾ ، ﴿ ٱلْمَوْتَةَ ﴾ ، ﴿ مَوْتَتَنَا ﴾] ترد (١٧) مرّة ..

وهكذا يكون مجموع الطرف الأوَّل من هذه المعادلة : ٢١ + ٣٥ + ١٧ = ٧٣

وبالمقابل .. كلمة ﴿ ٱلْحَيَوٰةُ ﴾ المعرّفة بأل التعريف ترد (٦٧) مرّة ..

كلمة ﴿ ٱلْحَيَوَانُ ﴾ ترد (١) مرّة واحدة ..

وكلمة حياة المعرّفة تعريف إضافة : [﴿ حَيَاتِكُمْ ﴾ ، ﴿ حَيَاتُنَا ﴾ ، ﴿ لِحَيَاتِي ﴾] ترد (٥) مرّات ..

وهكذا يكون مجموع الطرف الثاني من هذه المعادلة : ٦٧ + ١ + ٥ = ٧٣

٢ – والقسم الثاني من مشتقّات الجذر (و ، ف ، ي) يعني خروج النفس من الجسد مع بقاء الحياة فيه ، وهذا يكون في منام النفس .. وهذا القسم يرد (٤) مرّات :

﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ..... ﴾ [آل عمران : ٥٥]

﴿ ..... فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ..... ﴾ [المائدة : ١١٧]

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا ..... ﴾ [الأنعام : ٦٠]

﴿ ..... وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ..... ﴾ [يونس : ١٠٤]

وهذا القسم لا يعني الموت (بمعنى فقدان الحياة) إطلاقاً ، فهو يعني حالة المنام حيث يتوفّى الله تعالى النفس فيها ، لتعود بعد ذلك إلى جسدها ..

.. وما يقابل هذه الحالة في كتاب الله تعالى هو كلمة المنام وإضافاتها ، حيث يقول تعالى ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ﴾ [الزمر : ٤٢] ..

وتتجلّى عظمة الإعجاز الإلهي أنّ عدد مرّات ورود مشتقّات الجذر (و ، ف ، ي) في كتاب الله تعالى والتي تعني حالةً تكون في المنام ، وتعود النفس بعدها إلى جسدها الحي ، يساوي بالضبط عدد مرّات ورود كلمة المنام وإضافاتها : [﴿ ٱلْمَنَام ﴾ ، ﴿ مَنَامِك ﴾ ، ﴿ مَنَامُكُم ﴾ ، ﴿ مَنَامِهَا ﴾] حيث ترد أيضاً (٤) مرّات ..

﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ..... ﴾ [الأنفال : ٤٣]

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ..... ﴾ [الروم : ٢٣]

﴿ ..... قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ ..... ﴾ [الصافات : ١٠٢]

﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ..... ﴾ [الزمر : ٤٢]

.. إذاً .. الوفاة المعنيّة في الآيات الكريمة ..

﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ..... ﴾ [آل عمران : ٥٥]

﴿ ..... فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ ..... ﴾ [المائدة : ١١٧]

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا ..... ﴾ [الأنعام : ٦٠]

﴿ ..... وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ..... ﴾ [يونس : ١٠٤]

.. لا تعني الموت أبداً .. إنّما تعني استيفاء النفس مع بقاء الحياة في الجسد ، لأنَّ هذه النفس المستردّة من الجسد ستعود إليه ، بمعنى أنَّ الوفاة المعنيّة في هذه الآيات الكريمة حالة تكون النفس فيها في حالة المنام .. ورأينا كيف أنَّ مجموع ورود هذه الحالة في كتاب الله تعالى يساوي تماماً مجموع ورود كلمة المنام وإضافاتها [﴿ ٱلْمَنَامِ ﴾ ، ﴿ مَنَامِكَ ﴾ ، ﴿ مَنَامِكُمْ ﴾ ، ﴿ مَنَامِهَا ﴾] ..

.. أمّا الموت بالنسبة للإنسان .. فهو انقطاع صلته بالدنيا نفساً وجسداً .. بمعنى خروج النفس من الجسد (وفاة النفس) خروجاً نهائيّاً لا عودة بعده إلى جسدها في الدنيا ، وخروج الحياة من الجسد خروجاً نهائيّاً .. فالموت هو انقطاع الصلة الحيّة والتفاعل الحي مع الوسط المادّي المحيط ..

.. ولذلك فالموت يشمل الأرض والنبات والحيوان والإنسان وكلَّ حيٍّ يتفاعل تفاعلاً حيّاً مع الوسط المحيط به ..

.. فإحياء الحب والنوى كبذور هو إنتاشها وتحوّلها إلى حالة حيّة تنمو بها وتتكاثر .. وهذا هو انتقال بها من حالة الموت إلى حالة الحياة .. كما أنَّ جفافها وعدم تفاعلها الحي مع الوسط المحيط هو انتقال بها من حالة الحياة إلى حالة الموت ..

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ [الأنعام : ٩٥]

.. وإحياء المعروشات الخاوية ، هو الانتقال بها من حالة الجفاف وعدم النمو وعدم التفاعل الحي مع الوسط المحيط (حالة الموت) إلى حالة النمو والتفاعل الحي مع الوسط المحيط (حالة الحياة) ..

﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ ﴾ [البقرة : ٢٥٩]

وإحياء الأرض بعد موتها هو إنزال الماء عليها لتصبح حيّةً تنمو فيها الكائنات الحيّة وتتكاثر وتتفاعل تفاعلاً حيّاً مع الوسط المحيط بها ..

﴿ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ [النحل : ٦٥]

.. وكذلك فالموت الجسدي للإنسان هو فقدان الجسد للحياة وتفككه وعودته إلى المادّة التي خُلق منها وهي التراب ..

﴿ قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾ [المؤمنون : ٨٢]

﴿ وَكَانُواْ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴾ [الواقعة : ٤٧ – ٤٨]

.. ولكن .. كون الإنسان يتميّز بالنفس ، فإنَّه يتميّز إضافة للموت الجسدي الذي يعني خروج الحياة من الجسد وتحلّل الجسد وعودته إلى حالة التراب ، يتميّز عن غيره من المخلوقات بالوفاة ، وهي استيفاء النفس واستردادها (من عالم الدنيا الذي كانت فيه

مسجونة في الجسد الحي) إلى عالمها .. وهذه الوفاة – كما رأينا – تكون في حالتي الموت والمنام ..

﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الزمر : ٤٢]

وكنّا قد بيّنا أنَّ الإنسان يتكوَّن من عنصري النفس والجسد ، ورأينا أنَّ كلاً منهما ينتمي لعالمه المستقل عن عالم العنصر الآخر .. ولكن .. كون الإرادة والشهوة وكلّ ما يميّز الإنسان ككائن ممتحن في عالم الدنيا يتعلَّق بالنفس دون الجسد ، وكون الجسد مجرّد وعاءٍ للنفس ومجرّد أدوات تطلّ من خلالها النفس على عالم الدنيا الذي تُمتحَن فيه ، كلُّ ذلك يجعل من الإنسان نفساً ممتحنة عبر الجسد ، ويجعل من دلالة كلمة النفس قريبة من دلالة كلمة الذات ﴿ يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا ﴾ [النحل : ١١١] ..

.. لذلك فالنفس التي يتوفّاها الله تعالى في منامها ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ﴾ ، يخاطبها الله تعالى على أنَّها الإنسان ..

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام : ٦٠]

فالعبارة القرآنيّة ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ ﴾ ، تعني وفاة النفس ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ﴾ ، فالحرفان (كُم) في كلمة ﴿ يَتَوَفَّىٰكُم ﴾ يعودان إلى الناس المخاطبين بهذه الآية الكريمة ، وفي الوقت ذاته يعودان لأنفس أولئك الناس ، وبالتالي فالنفس خُوطبت على أنَّها الإنسان ، لأنَّها ذاته الممتحنة في

هذه الدنيا عبر الجسد الذي هو ليس أكثر من وعاء وأدوات ماديّة تطلّ منه على هذا العالم ..

﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾ [الأنعام : ٦١]

.. ولمّا كان الموت بمعناه المجرَّد يعني انقطاع الصلة والتفاعل الحي مع الوسط المحيط ، فإنَّ استيفاء النفس واستردادها إلى عالمها ، هو قطعٌ لصلتها مع عالم الدنيا الذي تُمتَحن فيه ، وبالتالي هو موتٌ لها ..

﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ ﴾ [آل عمران: ١٤٥]

﴿ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان : ٣٤]

.. وبالتالي فالموت الذي يعني انقطاع الصلة والتفاعل الحي مع الوسط المحيط ، هو غشاءٌ وحاجزٌ يمنع الصلة مع هذا العالم ..

﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾ [الأحزاب : ١٩]

﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾

[محمد : ٢٠ – ٢١]

.. وبالتالي فالموت له سكرةٌ تُسَدُّ فيها كلُّ منافذ الاتّصال مع هذا العالم ..

﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ [ق : ١٩]

.. إذاً .. الموت هو انقطاع للصلة الحيّة والتفاعل الحي مع الوسط المحيط .. من هنا ميّزنا بين دلالات كلمة ﴿ ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ ﴾ وبين دلالات كلمة ﴿ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ .. فكلمة ﴿ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ تعني الموت الذي يفقد الجسد فيه الحياة ويتحلّل للتراب وتعود فيه النفس إلى عالم البرزخ .. فقد وردت هذه الكلمة (١٧) مرّة في كتاب الله تعالى ..

﴿ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ ..... ﴾ [البقرة : ٧٣]

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ ..... ﴾ [البقرة: ٢٦٠]

﴿ ..... وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ ..... ﴾ [آل عمران : ٤٩]

﴿ ..... وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ ..... ﴾ [المائدة : ١١٠]

﴿ ..... وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ [الأنعام : ٣٦]

﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ ..... ﴾ [الأنعام : ١١١]

﴿ ..... كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف : ٥٧]

﴿ ..... أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ ..... ﴾ [الرعد : ٣١]

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ..... ﴾ [الحج : ٦]

﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ ..... ﴾ [النمل : ٨٠]

﴿ ..... إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الروم : ٥٠]

﴿ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ ..... ﴾ [الروم : ٥٢]

﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ ..... ﴾ [يس : ١٢]

﴿ ..... إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ ..... ﴾ [فصلت : ٣٩]

﴿ ..... فَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡوَلِيُّ وَهُوَ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ ..... ﴾ [الشورى : ٩]

﴿ ..... بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡيِۦَ ٱلۡمَوۡتَىٰۚ بَلَىٰٓ ..... ﴾ [الأحقاف : ٣٣]

﴿ أَلَيۡسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡيِۦَ ٱلۡمَوۡتَىٰ ﴾ [القيامة : ٤٠]

.. ومن نراه في النصوص الحاملة لكلمة الموتى في كتاب الله تعالى :

١ – أنَّ هذه الكلمة لا ترد إلاَّ معرَّفة بأل التعريف .. وهذا أمرٌ طبيعي ، فالموتى هم الذين خرجوا من الدنيا ، ولا لبس في ذلك ، فهم معلومون ولا يُوجد في الأمر ما هو باطن ومخفي ..

٢ – ليست خاصّة بالإنسان .. فالحيوان عندما ينفق تخرج الحياة من جسده الذي يبدأ بالتحلّل .. فكون الإنسان يشترك مع الحيوان بالجسد الحي ، يشترك معه بكلمة الموتى ..

.. بينما كلمة ﴿ ٱلۡأَمۡوَٰتُۚ ﴾ تعني الموت الإيماني ، بمعنى انقطاع الصلة الإيمانيّة للنفس مع الله تعالى .. وترد هذه الكلمة في كتاب الله تعالى (٦) مرّات ..

﴿ كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ [البقرة : ٢٨]

﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢۚ بَلۡ أَحۡيَآءٞ وَلَٰكِن لَّا تَشۡعُرُونَ ﴾ [البقرة : ١٥٤]

﴿ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴾ [آل عمران : ١٦٩]

﴿ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ٢٠ أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴾ [النحل : ٢٠ – ٢١]

﴿ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَحۡيَآءُ وَلَا ٱلۡأَمۡوَٰتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسۡمِعُ مَن يَشَآءُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ ﴾ [فاطر : ٢٢]

﴿ أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ كِفَاتًا ٢٥ أَحۡيَآءٗ وَأَمۡوَٰتٗا ﴾ [المرسلات : ٢٥ – ٢٦]

.. وما نراه في النصوص القرآنيّة الحاملة لهذه الكلمة ..

١ – ترد معرَّفة ﴿ ٱلۡأَمۡوَٰتُۚ ﴾ ، وترد نكرة [﴿ أَمۡوَٰتٌۚ ﴾ ، ﴿ أَمۡوَٰتٗا ﴾] ، وهذا أمرٌ طبيعي ، فالموت الإيماني عند الناس منه ما هو ظاهر ، ومنه ما هو باطن ..

٢ – خاصّة بالإنسان ، وهذا أمرٌ طبيعي فالموت الإيماني هو قضيّة خاصّة بالإنسان ، ولا علاقة للحيوان بها ..

.. إذاً .. الموت الذي هو انقطاع الصلة الحيّة والتفاعل الحي مع الوسط المحيط :

.. يكون ماديّاً ﴿ ٱلۡمَوۡتَىٰ ﴾ عبر خروج الحياة من الجسد الحي وتحلّله إلى تراب ، وبهذا يتساوى الإنسان والحيوان ، ويكون هذا الموت المادّي الموصوف بكلمة ﴿ ٱلۡمَوۡتَىٰ ﴾ عبر خروج النفس من الجسد خروجاً نهائيّاً ، وبهذا يتميّز الإنسان عن باقي المخلوقات كونه الوحيد من المخلوقات الذي يتكوَّن من نفس وجسد .. وبهذا الموت الموصوف في كتاب الله تعالى بكلمة ﴿ ٱلۡمَوۡتَىٰ ﴾ يتساوى المؤمنون والكافرون ..

.. ويكون الموت إيمانيّاً ﴿ ٱلۡأَمۡوَٰتُۚ ﴾ عبر فقدان الروح الذي هو الصلة مع الله تعالى والمدد والقربى منه جلّ وعلا ، وبهذا يتفاضل الناس عن بعضهم ..

من هنا نرى كيف أنَّ صفة ﴿ ٱلۡحَيِّ ﴾ لله تعالى تختلف عن صفة الحي للمخلوقات .. فحياة الله تعالى – إضافة إلى اختلافها عن حياة المخلوقات – هي دائمة غير منقطعة لا يأتيها الموت ، وليست مسبوقة بموت ..

﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴾ [الفرقان : ٥٨]

.. وهكذا نرى أنَّنا بدأنا نرسم الخطوط الفاصلة بين مسألتي الموت والوفاة .. وبدأنا ندرك أنَّه لا يمكن لهذين المفهومين أن يتطابقا بنسبة مائة بالمائة ، فورود كلمة من مشتقّات الجذر (و ، ف ، ي) في سياقٍ قرآني لا ينوب عنه ورود أيٍّ كلمة من مشتقّات الجذر (م ، و ، ت) .. وورود كلمة من مشتقّات الجذر (و ، ف ، ي) بصيغة ما يختلف عن ورود كلمة أُخرى مشتقّة من ذات الجذر ذاته بصيغة أُخرى ..

.. لقد وردت مشتقّات الجذر (و ، ف ، ي) بصيغة المضارع لتصوِّر حالة استرداد النفس من الجسد إلى عالمها ..

﴿ ..... فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ ..... ﴾ [النساء : ١٥]

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ ..... ﴾ [النساء : ٩٧]

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا ..... ﴾ [الأنعام : ٦٠]

﴿ ..... حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوۡنَهُمۡ قَالُوٓاْ ..... ﴾ [الأعراف: ٣٧]

﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ ..... ﴾ [الأنفال : ٥٠]

﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ ..... ﴾ [يونس : ٤٦]

﴿ ..... وَلَٰكِنۡ أَعۡبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُمۡۖ ..... ﴾ [يونس : ١٠٤]

﴿ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ ..... ﴾ [الرعد : ٤٠]

﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ..... ﴾ [النحل : ٢٨]

﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ ..... ﴾ [النحل : ٣٢]

﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ ..... ﴾ [النحل : ٧٠]

﴿ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ..... ﴾ [السجدة : ١١]

﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ ..... ﴾ [الزمر : ٤٢]

﴿ ..... فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ ..... ﴾ [غافر : ٧٧]

ووردت بصيغة المضارع المبني للمجهول لتخاطب المجتمع كأحياء ، منهم من يتوفّى ومنهم من توفّي ومنهم من سيُتوفّى ، لكن في النهاية تخاطب الأحياء السامعين لقول الله تعالى ، وذلك بدليل كلمة [﴿ مِنكُمْ ﴾ ، ﴿ وَمِنكُم ﴾] في كلِّ هذه النصوص ..

﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً ..... ﴾ [البقرة : ٢٤٠]

﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ ..... ﴾ [البقرة : ٢٣٤]

﴿ ..... وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ ..... ﴾ [الحج : ٥]

﴿ ..... وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا ..... ﴾ [غافر : ٦٧]

.. فورود كلمة [﴿ مِنكُمْ ﴾ ، ﴿ وَمِنكُم ﴾] في كلِّ هذه النصوص ، والتي تعني الأحياء المخاطبين بهذه النصوص ، ليس عبثاً ، ويعني خطاباً للأحياء الذين لم يُتوفّوا بعد ..

.. وفي ذات المعنى نفهم كلمة ﴿ مُتَوَفِّيكَ ﴾ في قوله تعالى ..

﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [آل عمران : ٥٥]

.. فكلمة ﴿ مُتَوَفِّيكَ ﴾ تعني – فيما تعني – سوف أتوفاك ، وهي تخاطب عيسى عليه السلام قبل أن يتوفّاه الله تعالى ، أي تخاطب عيسى عليه السلام حينما كان حيّاً قبل وفاته ..

.. ووردت مشتقّات الجذر (و ، ف ، ي) بصيغة الأمر لتصوِّر طلباً لاسترداد النفس من الجسد إلى عالمها .. وهي بذلك لا تخرج عن مفهوم المستقبل ، فطالب الأمر لم يتوفّاه الله تعالى بعد ..

﴿ ..... وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴾ [آل عمران : ١٩٣]

﴿ ..... رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ [الأعراف : ١٢٦]

﴿ ..... تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [يوسف : ١٠١]

.. فكلُّ هذه الصيغ السابقة تصوِّر الوفاة قبل حدوثها وأثناء حدوثها ، ولا تصوِّر أبداً الوفاة (التي تتعلّق بالموت) بعد حدوثها بالنسبة للمخاطَب ..

.. وقد وردت بصيغة الماضي (٣) مرّات .. منها مرّتان ترد فيهما مسبوقة بكلمة ﴿ إِذَا ﴾ ، ليكون الخطاب للحالة السابقة لوقوع الوفاة ، أي لمن هم على قيد الحياة ، والوفاة (المتعلّقة بالموت) أمر مستقبليٌّ بالنسبة لهم ..

﴿ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴾ [محمد : ٢٧]

﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾ [الأنعام : ٦١]

.. فعندما نقرأ قوله تعالى ﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴾ [الواقعة : ١] ، لا يخطر في بالنا على الإطلاق أنَّ الواقعة حدث من الماضي ، على الرغم من كون كلمة ﴿ وَقَعَتِ ﴾ هي فعل ماضي .. وكذلك الأمر في قوله تعالى ﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ ..... ﴾ [التكوير : ١ – ٨] .. وكذلك وكذلك وكذلك ..

.. إذاً .. ورود الوفاة بصيغة الماضي في قوله تعالى ..

﴿ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴾ [محمد : ٢٧]

﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾ [الأنعام : ٦١]

.. لا يدلُّ أبداً على وصف الوفاة (المتعلّقة بالموت) على أنّها حدثٌ من الماضي بالنسبة للمعنيين في النصّ القرآني .. بل تبيّن التمام والنهاية للوفاة كحدثٍ مستقبليٍّ ..

وورود كلمة ﴿ يَتَوَفَّوْنَهُمُ ﴾ في النصِّ التالي بصيغة المضارع في سياقٍ متعلّقٍ بكلمة ﴿ إِذَا ﴾ يدلُّ على حدثٍ مستقبليٍّ لبداية الوفاة ..

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓا۟ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَـٰفِرِينَ ﴾ [الأعراف: ٣٧]

فالعبارة القرآنيّة ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا ﴾ تصوِّر مرحلةً سابقةً للمرحلة المحمولة بكلمة ﴿ يَتَوَفَّوْنَهُمْ ﴾ ، وبالتالي فالآية الكريمة تلقي الضوء على مجيء الرسل إلى هؤلاء كمقدّمة لتوفّيهم ، أي تُلقي الضوء على مرحلة مجيء الرسل إلى ما قبل الوفاة ... بينما في النصّين الكريمين :

﴿ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ ﴾ [محمد : ٢٧]

﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾ [الأنعام : ٦١]

فالصورة المنقولة هنا هي نهاية الوفاة (المتعلّقة بالموت) المعنيّة فيهما [﴿ تَوَفَّتْهُمْ ﴾ ، ﴿ تَوَفَّتْهُ ﴾] ، كحدثٍ مستقبليٍّ [بدليل كلمة ﴿ إِذَا ﴾] بالنسبة للمعنيّين في هذين النصّين الكريمين ..

.. إذاً .. كون الوفاة المتعلّقة بالموت تلقي الضوء على استرداد النفس من الجسد استرداداً أخيراً متبوعاً بخروج الحياة من الجسد ، وكون الوفاة في المنام تتعلّق بالخروج المؤقّت من الجسد مع بقاء الحياة فيه .. حيث وُصِفَت الحالتان بالوفاة ..

﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الزمر : ٤٢]

.. وكون الموت يشمل ضمناً ويقتضي حتماً وفاة النفس إضافة لخروج الحياة من الجسد ، في حين كون الوفاة (بصيغتها العامّة) لا تقتضي حتميّة الموت ، لأنَّه هناك وفاة في المنام تعود النفس بعدها لجسدها الحي .. كلُّ ذلك يقتضي أنَّ وصف الوفاة المتعلّقة بالموت بالنسبة للمعنيّين بها كحدثٍ ماضٍ بالنسبة لهم ، هو وصفٌ غير سليم على الإطلاق ، ولا يمكن أن يرد في كتاب الله تعالى الذي صاغه الله تعالى صياغةً مطلقةً متعلّقةً بصفاته جلّ وعلا ..... ووصف الوفاة كحدثٍ من الماضي بالنسبة للمخاطَب أو المتكلِّم يقتضي أنّها الوفاة المتعلّقة بالمنام ، وليست الوفاة المتعلّقة بالموت ، وقد وردت هذه الحالة مرّة واحدة في كتاب الله تعالى ..

﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [المائدة: ١١٦ – ١١٧]

ففي هذا النصِّ الكريم نرى حواراً في الآخرة بين الله سبحانه وتعالى وبين عيسى عليه السلام ، وفي الآخرة يكون عيسى قد مات بعد عودته الثانية التي لم تأت بعد ، وبالتالي فقول عيسى عليه السلام ﴿ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ ﴾ وبورود الوفاة بصيغة الماضي ، في الوقت الذي مات فيه عيسى قبل هذا الحوار ، في ذلك بيانٌ جليٌّ على أنَّ الوفاة المعنيّة في هذا النصِّ الكريم هي الوفاة التي تحدث في المنام ، وليست الوفاة المتعلّقة بالموت على الإطلاق ..

.. وكنّا قد رأينا تقابلاً في عدد مرّات الورود بين الوفاة التي تحدث في المنام ، والتي منها كلمتا [﴿ مُتَوَفِّيكَ ﴾ ، ﴿ تَوَفَّيْتَنِي ﴾] المتعلّقتان بعيسى عليه السلام ، وبين عدد مرّات ورود كلمة المنام وإضافاتها في كتاب الله تعالى ..... فكلمة الوفاة المتعلّقة بالمنام ترد (٤) مرّات ..

﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ..... ﴾ [آل عمران : ٥٥]

﴿ ..... فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ..... ﴾ [المائدة : ١١٧]

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا ..... ﴾ [الأنعام : ٦٠]

﴿ ..... وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُمْ ..... ﴾ [يونس : ١٠٤]

.. ورأينا أنَّ كلمة المنام وإضافاتها [﴿ ٱلْمَنَامِ ﴾ ، ﴿ مَنَامِكَ ﴾ ، ﴿ مَنَامِكُمْ ﴾ ، ﴿ مَنَامِهَا ﴾] ترد أيضاً (٤) مرّات ..

﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا ..... ﴾ [الأنفال : ٤٣]

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ..... ﴾ [الروم : ٢٣]

﴿ ..... قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ ..... ﴾ [الصافات : ١٠٢]

﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ..... ﴾ [الزمر : ٤٢]

.. إذاً .. قول عيسى عليه السلام في حواره مع الله تعالى في الآخرة ﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [المائدة: ١١٧] يعني به الوفاة التي تكون حين المنام ، ولا يعني أبداً الوفاة المتعلّقة بالموت ، لأنَّه حين قوله ﴿ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ﴾ يكون قد مات

سابقاً في حياته الدنيا ، وقد بيّنا – بما فيه الكفاية – أنَّ الوفاة المتعلّقة بالموت محتواة داخل مفهوم الموت ، وأنَّ وصفها كحدثٍ من الماضي بالنسبة للمعنيِّ بها لا يمكن أن يرد في كتاب الله تعالى من مشتقّات الجذر (و ، ف ، ي) ، إنّما يرد من مشتقّات الجذر (م ، و ، ت) ..

.. معلومٌ أنَّ عيسى عليه السلام سيموت قبل قيام الساعة ..

﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ [النساء : ١٥٩]

﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ [مريم : ٣٣]

.. فالمرحلة المعنيّة بالكلمتين [﴿ مَوْتِهِۦ ﴾ ، ﴿ أَمُوتُ ﴾] هي في الدنيا ، وبالتالي في الآخرة وفي حوار عيسى عليه السلام مع الله تعالى وقوله ﴿ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ﴾ يكون عيسى عليه السلام قد مات سابقاً ، ويكون الموت بالنسبة له الإطار الأشمل والأعم والأكبر من الوفاة المتعلّقة بالموت ، وبالتالي فحمل كلمة ﴿ تَوَفَّيْتَنِى ﴾ على الموت الذي يعني – إضافة لوفاة النفس – خروج الحياة من الجسد ، يقتضي ورودها مشتقّةً من الجذر (م ، و ، ت) .. وهذا منهجُ كتاب الله تعالى ، فالوفاة المتعلّقة بالموت حينما تكون حدثاً من الماضي بالنسبة للمعنيِّ بها كمخاطَب أو متكلّم ، تكون حالةً متضمّنةً بالموت الذي يشمل – إضافةً لها – خروج الحياة من الجسد ، ولذلك تُوصَف في كتاب الله تعالى بمشتق من الجذر (م ، و ، ت) ..

﴿ ..... لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ ..... ﴾ [آل عمران : ١٥٦]

﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ﴾ [التوبة : ٨٤]

﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ..... ﴾ [سبأ : ١٤]

﴿ قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ ﴾ [غافر : ١١]

.. ولنقف عند النصِّ القرآني التالي الذي ترد فيه مفردة من مفردات الوفاة المتعلّقة بالمنام ﴿ مُتَوَفِّيكَ ﴾ ..

﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ۝ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [آل عمران : ٥٤ – ٥٥]

.. قول الله تعالى لعيسى عليه السلام ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ ﴾ هو خطابٌ من الله تعالى لعيسى عليه السلام حينما مكر به الذين كفروا ، وبالتالي فما وعد الله تعالى به عيسى عليه السلام هو أربعة أمور ستحصل معه بعد هذا الخطاب له ، وستحصل معه بالترتيب الذي ترد به في كتاب الله تعالى .. وهذه الأمور هي :

١ – ﴿ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ ﴾ ..

٢ – ﴿ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ﴾ ..

٣ – ﴿ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ ..

٤ – ﴿ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ ..

.. الأمر الأوَّل كبشرى ممّا بشّره الله تعالى به ، وبهذه الصيغة ﴿ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ ﴾ ، يعني خصوصيّة ستحصل مع عيسى عليه السلام ، ويعني حدثاً لم يحدث له من قبل .. وإضافة لما بيّناه أنَّ الوفاة المعنيّة هنا هي الوفاة التي تكون في المنام ، وليست الوفاة المتعلّقة

بالموت نقول : الوفاة هنا ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ ﴾ لها خصوصيّتها كوفاة مميّزة متعلّقة بعيسى عليه السلام دون غيره ..

.. إنَّ الصياغة القرآنيّة للموت المستقبلي بالنسبة للمخاطَب ، جاءت في كتاب الله تعالى بصيغ لا توجد فيها صيغة مشابهة لصيغة كلمة ﴿ مُتَوَفِّيكَ ﴾ .. فالموت المستقبلي – بالنسبة للمخاطَب – دون الصيغة الفعليّة ، نراه في قوله تعالى ..

﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون : ١٥ – ١٦]

﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴾ [الزمر : ٣٠ – ٣١]

.. ولو نظرنا في صيغ الفعل المضارع للمشتقّات المتفرّعة من الجذر (م ، و ، ت) ، والتي تحمل دلالة الموت المستقبلي في الحياة الدنيا ، لرأيناها بصياغات مختلفة ، لا توجد فيها صيغة واحدة تؤدّي معنى صيغة (مميت) ، فالموت حاصل لكلِّ نفس كنتيجة لا مفرَّ منها ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [العنكبوت : ٥٧] .. والموت الحاصل كنتيجة لا مفرَّ منها له أجله الذي لا يُقدَّم ولا يُؤخَّر ..

﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [النحل : ٦١]

.. ولننظر في صيغ الفعل المضارع للمشتقّات المتفرّعة من الجذر (م ، و ، ت) ، والتي تحمل دلالة الموت المستقبلي في الحياة الدنيا ..

﴿ ..... وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ..... ﴾ [البقرة : ٢٨]

﴿ ..... فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [البقرة : ١٣٢]

﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ ..... ﴾ [البقرة : ٢١٧]

﴿ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢]

﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ﴾ [آل عمران : ١٤٥]

﴿ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴾ [الأعراف : ٢٥]

﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴾ [الحجر : ٢٣]

﴿ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾ [مريم : ١٥]

﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ [مريم : ٣٣]

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾ [الحج : ٦٦]

﴿ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ [المؤمنون : ٣٧]

﴿ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴾ [الشعراء : ٨١]

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾ [الروم : ٤٠]

﴿ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان : ٣٤]

﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ﴾ [الزمر : ٤٢]

﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا ﴾ [الجاثية : ٢٤]

﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [الجاثية : ٢٦]

﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴾ [ق : ٤٣]

.. وحتى في مشتقّات الجذر (و ، ف ، ي) في كتاب الله تعالى ، فإنَّ الصيغة التي ترد فيها كلمة : ﴿ مُتَوَفِّيكَ ﴾ هي الوحيدة فقط في هذه المشتقّات ..

.. ما نودُّ قوله هو مسألتان :

١ – كلمة ﴿ مُتَوَفِّيكَ ﴾ التي خاطب الله تعالى بها عيسى عليه السلام ، من المستحيل أن تعني الوفاة المتعلّقة بالموت ، كبيانٍ إضافي لما بيّناه سابقاً ، وهي تعني الوفاة التي تكون للنفس في منامها ..

.. ففي قول عيسى عليه السلام عن نفسه ..

﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ﴾ [مريم : ٣٣]

.. نرى أنَّه يصف موته بالصيغة الفعليّة ﴿ أَمُوتُ ﴾ ، ونرى في هذه الصيغة فعل الموت الطبيعي الذي يجيء إلى الإنسان ، ولا نرى أيَّ إشارة لأيِّ استثناء ، فهو الموت الذي لا يُقدَّم ولا يُؤخَّر ..... وهذه الصيغة : ﴿ أَمُوتُ ﴾ تحمل ذات الحيثيّات المحمولة بدلالات قوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر : ٣٠] ..

.. بينما العبارة ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ ﴾ نراها بهذه الصياغة تحمل دلالات وفاة فاعلها الله تعالى كردٍّ من الله تعالى على مكرهم ، وكنتيجة لمكر الله تعالى ردّاً على مكرهم ..

﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ۝٥٤ إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوۡقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴾ [آل عمران : ٥٤ – ٥٥]

.. فالموت الطبيعي الذي نقرؤه من دلالات كلمة : ﴿ أَمُوتُ ﴾ في قول عيسى عن نفسه : ﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ﴾ [مريم : ٣٣] ، يتنافى مع تحميل دلالات العبارة القرآنيّة : ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ ﴾ دلالات الوفاة المتعلّقة بالموت ، كون هذه الوفاة هي بشرى وعطاء لعيسى عليه السلام مع مجموعة أمور بشّره الله تعالى بها ، وكون هذه الوفاة ردّاً على مكرهم وإنقاذاً له من ذلك ..

٢ – هذه الوفاة المحمولة بكلمة ﴿ مُتَوَفِّيكَ ﴾ والتي تعني الوفاة التي تكون للنفس في منامها ، لها خصوصيّة خاصّة بعيسى عليه السلام تميّزها عن وفاة النفس في منامها ..

.. فالوفاة التي تكون للنفس يوميّاً في منامها تخرج بها النفس من جسدها ثمَّ تعود إليه ، والتي اعتدنا عليها في حياتنا الدنيا ، هذه الوفاة تكون عادة لساعات .. بينما الوفاة التي أخبر الله تعالى بها عيسى كردٍّ على مكر الذين كفروا به والتي تعني وفاة النفس في منامها ، وكبشرى بشّره الله تعالى بها ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوۡقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ ﴾ ، وكبشرى متبوعة ببشرى أُخرى هي رفع الله تعالى له كحدث تالي لهذه الوفاة ... هي – بهذه الصيغة الوحيدة في كتاب الله تعالى – وفاةٌ مستمرّة ، لن تعود فيها نفسه إلى جسده الحي آلاف السنين .. وهنا مكمن الخصوصيّة المحمولة بالعبارة القرآنيّة ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ ﴾ ..

.. لذلك فقول عيسى عليه السلام ﴿ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي ﴾ في حواره مع الله تعالى في الآخرة ..

﴿ مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴾ [المائدة : ١١٧]

.. هذا القول : ﴿ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي ﴾ ، يعني به الوفاة المحمولة بالعبارة القرآنيّة : ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ ﴾ ، والتي استمرّت من بداية تنفيذ الوعد الإلهي له ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ ﴾ حتى عودته في آخر الزمان والتي سيموت بها ، تلك العودة التي من خلالها يعرف أهل الكتاب حقيقته ويؤمنون به إيماناً سليماً ..

﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ [النساء : ١٥٩]

.. ولذلك سيموت بعد عودته وإيمان أهل الكتاب به ، فالعبارة ﴿ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾ في هذه الآية الكريمة واضحة وجليّة ..

.. ونحن في هذا السياق الذي نشرح به مفهوم الموت والحياة في كتاب الله تعالى ، لسنا بصدد شرح عودة المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ، فهذه مسألة لها أدلّتها الجليّة في كتاب الله تعالى ، والتي سنبيّنها بإذن الله تعالى في مكانٍ آخر .. نحن بصدد شرح مفهوم الموت والوفاة ، والفارق بينهما في كتاب الله تعالى ..

.. لقد رأينا أنَّ مشتقّات الجذر اللغوي (م ، و ، ت) في كتاب الله تعالى لها حدودها من الدلالات والتي تميّزها عن حدود دلالات الكلمات المتفرّعة من الجذر اللغوي (و ، ف ، ي) .. ورأينا أنَّ الوفاة التي تعني استرداد النفس من الجسد ، والتي ترد بهذا المعنى (٢٥) مرَّة ، دلالاتها لا تخرج عن دلالات الجذر اللغوي الذي تفرَّعت عنه ، ولكنَّها ترد في سياقات قرآنيّة تنقسم وفق خطين متمايزين ..

١ – منها ما يرد في سياقات قرآنيّة تصوِّر هذا الاسترداد للنفس من جسدها الحي كاستردادٍ أخير يتبعه تحلّل الجسد ، أي تصوِّر الوفاة كبداية للموت ، وهي – كما بيّنا وفاة تتعلَّق بالموت ، وترد (٢١) مرَّة ..

.. وكنّا قد رأينا كيف أنَّ هذه الكلمات التي تعني الوفاة المتعلّقة بالموت ، والتي ترد (٢١) مرَّة ، والتي تشترك مع الموت في مساحة من الدلالات ، تدخل مع كلمة ﴿ ٱلْمَوْتُ ﴾ المعرَّفة بأل التعريف ، ومع كلمة موت المضافة [﴿ مَوْتِكُمْ ﴾ ، ﴿ مَوْتِهِۦ ﴾ ، ﴿ مَوْتِهَا ﴾ ، ﴿ ٱلْمَوْتَةَ ﴾ ، ﴿ مَوْتَتَنَا ﴾] ، كطرف أوَّل في معادلة طرفها الآخر هو كلمة ﴿ ٱلْحَيَوٰةُ ﴾ المعرّفة بأل التعريف ، وكلمة ، ﴿ ٱلْحَيَوَانُ ﴾ ، وكلمة حياة المضافة [﴿ حَيَاتِكُمْ ﴾ ، ﴿ حَيَاتُنَا ﴾ ، ﴿ لِحَيَاتِى ﴾] ..

.. فالمشتقّات من الجذر (و ، ف ، ي) والتي تعني فيما تعني الموت من زاوية استيفاء النفس واستردادها من الجسد ترد (٢١) مرّة كما رأينا ..

كلمة ﴿ ٱلْمَوْتُ ﴾ المعرّفة بأل التعريف ترد (٣٥) مرّة ..

كلمة موت المضافة : [﴿ مَوْتِكُمْ ﴾ ، ﴿ مَوْتِهِۦ ﴾ ، ﴿ مَوْتِهَا ﴾ ، ﴿ ٱلْمَوْتَةَ ﴾ ، ﴿ مَوْتَتَنَا ﴾] ترد (١٧) مرّة ..

وهكذا يكون مجموع الطرف الأوَّل من هذه المعادلة : ٢١ + ٣٥ + ١٧ = ٧٣

وبالمقابل .. كلمة ﴿ ٱلْحَيَوٰةُ ﴾ المعرّفة بأل التعريف ترد (٦٧) مرّة ..

كلمة ﴿ ٱلْحَيَوَانُ ﴾ ترد (١) مرّة واحدة ..

وكلمة حياة المضافة : [﴿ حَيَاتِكُمْ ﴾ ، ﴿ حَيَاتُنَا ﴾ ، ﴿ لِحَيَاتِى ﴾] ترد (٥) مرّات ..

وهكذا يكون مجموع الطرف الثاني من هذه المعادلة : ٦٧ + ١ + ٥ = ٧٣

.. ورأينا أيضاً أنَّ مشتقّات الجذر (و ، ف ، ي) والتي تعني خروج النفس (في منامها) من الجسد مع بقاء الحياة فيه ، ترد (٤) مرّات :

﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ..... ﴾ [آل عمران : ٥٥]

﴿ ..... فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ..... ﴾ [المائدة : ١١٧]

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا ..... ﴾ [الأنعام : ٦٠]

﴿ ..... وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُمْ ..... ﴾ [يونس : ١٠٤]

ورأينا كيف أنَّ هذه الكلمات التي تحمل هذا المعنى ترد بعدد مرّات ورود يقابل عدد مرّات ورود كلمة المنام وإضافاتها ، [﴿ ٱلْمَنَامِ ﴾ ، ﴿ مَنَامِكَ ﴾ ، ﴿ مَنَامُكُمْ ﴾ ، ﴿ مَنَامِهَا ﴾] حيث ترد أيضاً (٤) مرّات ..

﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا ..... ﴾ [الأنفال : ٤٣]

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ..... ﴾ [الروم : ٢٣]

﴿ ..... قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ ..... ﴾ [الصافات : ١٠٢]

﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ..... ﴾ [الزمر : ٤٢]

.. كلُّ ذلك حقائق قرآنيّة تجمع بين الدلالات التي تحملها مشتقّات الجذرين [(و ، ف ، ي) ، (م ، و ، ت)] مع التقابلات الإعجازيّة في عدد مرّات ورودها في كتاب الله تعالى ..

المهندس عدنان الرفاعي